Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:34 IRDT on Monday August 31st 2020

الاسلام وإشكالية العولمة اللغوية

الدكتور محمد خاقاني
جامعة أصفهان ـ كلية اللغات الاجنبية

هذه المقالة تتمحور على ثلاث ثنائيات:

١ ـ التفاعل بين اللغة والفكر: نعالج في هذا القسم النظرة التقليدية حول اللغة، واعتبارها مجرد أداة للإعراب عما في الضمير، ونقارنها بالاتجاه الحديث الذي يصر على التفاعل بين اللغة والفكر، ونذكر نماذج من النصوص الاسلامية التي تنسجم مع هذا الاتجاه الحديث.

٢ ـ ثنائية العولمة / الاقلمة: ندرس فيه ايجابيات العولمة (Globalization) وسلبياتها، ونتطرق لمواقف مثقفينا بين مرحب ومتشائم ومذبذب، وصولاً الى مدرستنا: أمر بين أمرين، في حل هذه الجدلية.

٣ ـ اللغة بين العولمة والأقلمة: نعالج في هذا الفصل الاساس، إصرار القوى العظمى لفرض لغاتها وتعميمها على شعوب العالم، كذلك، نشير الى سياسة الكيل بمكيالين، التي تطبقها قوى الهيمنة والاستكبار، اذ نراهم يصبون كل اهتمامهم في الاحتفاظ بأصناف من النباتات والحيوانات المهددة بالانقراض، وفي نفس الوقت يستغلون جميع الوسائل للقضاء على لغات الشعوب وثقافاتهم في مسار العولمة الثقافية واللغوية لامحاء كل ما يمكن ان يحول دون تحقيق نواياهم. وأخيراً نستوحي مقتطفات من النصوص الاسلامية لبلورة موقف الاسلام من العولمة اللغوية أو التعددية اللغوية بغية صياغة موقف حكيم للأمة الإسلامية ازاء هذه الظاهرة العالمية، ونتبنى نظرية: «أمر بين أمرين» في حل هذه الاشكالية.

شهد العصر الراهن انقلاباً في تفكير الغرب، لدرجة يمكن القول انه ادى الى قلب صورة العالم أمام الانسان. نستطيع تفسير هذا الانقلاب العظيم بناء على ازدواجيات عدة كالروح / الجسم، والمعنى / الشكل، وتنطوي فيها ثنائيات أخرى كالعولمة / الاقلمة، والفكر / اللغة.

هاتان الفئتان من المصطلحات المزدوجة قد اعتقلا الانسان وفكره كحائطين موازيين، والمشادة حول ما

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:34 IRDT on Monday August 31st 2020

هو الاصيل والاساس منهما وما هو الفرع والهامش. قسّمت الفكر الغربي الى معسكرين متخاصمين القى كل واحد منهما بظلاله في برهة من التاريخ.

ربما يناقش في اعتبار تاريخ الفكر الغربي منقسماً الى هذين المعسكرين المتخاصمين. لان التيارات الفكرية متنوعة جدا. من المستحيل في بدء الامر تقسيمها الى كتلتين. لكن هذه القسمة ـ رغم ذلك ـ ضرورية.

قبل الثورة العظمى التي جرى الحديث عنها، كانت الغلبة في فترة غير محددة البداية (والنهاية) للعنصر الاول: الروح (ومن مصاديقها: الفكر) هي التي تسيطر على الآخر الاقل قيمة، أي: الجسم والشكل (ومن مصاديقها: اللغة). العنصر الاول كحقيقة غير مرئية وغير قابلة للتحديد، يحرك العنصر الثاني من وراء الستار، ويضفي عليه المعنى. والطرف السافل مقيد يتحقق ويتعين بفضل العامل الاول.

هذه الازدواجية الحاضرة بقوة طوال تاريخ فلسفة الغرب، يعبر عنها بثنائية الفيزياء / الميتافيزيقا في رسم العلاقة بين الله والانسان. الحقيقة الماورائية تخلق الطبيعة وتدبرها، والطبيعة كتاب تستمد الفاظه معانيها من الله.

هذه العلاقة تظهر بشكل آخر بين المؤلف والنص، حيث أن المؤلف يرى نفسه صاحب القرار فيما يكتبه، وكما أن الله يحّول مفردات كتاب العالم، المؤلف يهيمن ارادته على النص. هذا التعامل يمكن الاحساس به لا في الكتابة والكلام فقط، بل أيضا في أية علاقة تربط الانسان بالعالم (وان كان للإسلام موقف آخر اكثر تعقيداً وتشابكاً في رسم هذه الصلة بين الانسان والعالم)[1].

نسعى في هذا المقال الى معالجة موقف الاسلام من ثنائية: العولمة اللغوية / التعددية اللغوية، من خلال دراسة ثلاثة محاور، هي:

أولاً: ـ ثنائية الفكر / اللغة؛

ثانياً: ـ ثنائية العولمة / الاقلمة؛

ثالثاً: ـ ثنائية العولمة اللغوية / التعددية اللغوية.

أولاً: ـ ثنائية الفكر / اللغة:

النظرة السائدة حول ظاهرة «اللغة» خلال قرون متمادية، كانت تعرف اللغة بأنها مجرد أداة للتعبير عما في الضمير.

قبل التطورات والمستجدات الحديثة في علم الثقافة. كانت تنصب اهتمامات علماء الشرق والغرب نحو «الفكر» أو «الاحساس»، باعتبارهما جوهرين أساسيين في تكوين الشخصية الانسانية. واللغة كانت تابعة للفكر، ووسيلة للإعراب عنه. كانوا ينظرون الى الكلام بوصفه «عبارة» يعبر الفرد منه، ويتجاوزه للوصول الى ضمائر الآخرين.

الصفعة الاولى التي تلقتها هذه النظرة تمت بيد الكاتب والأديب الإنكليزي في القرن السابع عشر «روبرت سوث»، حيث قبلَ ان اللغة أداة، ولكن لم يقبل بأنها دائماً تستخدم للتعبير عما في الضمير، بل احيانا يستغلها الانسان لاخفاء ما في الضمير. وقد كشف عن مجالات كثيرة يلعب فيها الشخص بالالفاظ والمفردات، ليخبىء نواياه، ويلبس ظاهره بما لا ينسجم مع باطنه.

والتطور الثاني حصل مع «ميشل فوكو». حيث تغيرت بالمرة النظرة الأداتية الى اللغة، «واخذت اللغة تفرض نفسها على الانسان، باعتبارها جزءاً من نظام الكون ذا وجود عيني وأصيل... أصبح الكلام اجراء من اجراءات الحقيقة، وأصبحت اللغة تدرك في كينونتها بوصفها موطن الوجود، اذ بها يسمي كل شيء باسمه الخاص، ويكتب هويته وأحديته»[2].

التأكيد على التلازم والعلاقة المتقابلة بين اللغة والفكر، جعل «هيدغر» يصوغ نظرية: «التطابق بين اللغة والفلسفة» في كتابه: «حول الفلسفة والشعر». وراجت

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:34 IRDT on Monday August 31st 2020

مرة أخرى فكرة علاقة متينة بين «النحو العقلي» و «النحو اللغوي»، والتي زاولها «أبو حيان التوحيدي» في كتابه: «المقابسات» في نزاعه مع «مسكويه»[٣].

في انتماء التلاحم بين اللغة والفكر، تعتبر اللغة متأصلة في جوهر الكيان البشري وعين حقيقته نوعاً ما. فهي لاتتلخص في ظاهرة صوتية للاشارة الى الحاجات الجسمية والنفسية، وليست مجرد اشارات باردة وبلا روح. يعرّف الانسان مرة ثانية «بالحيوان الناطق»، ولكن النطق ليس هذه المرة امارة للعقل والادراك المجرد، وانما الوجه الآخر له، يتفاعل معه في مسار التحقيق والتوليد. الانسان حيوان يفهم منك ويفهمك عن طريق النطق، والا فهو أعجمي وأخرس في تعابير معظم اللغات[٤].

هذا الافق الحديث، يبرر ويفسر عملية صرف ملايين من الدولارات من قبل الدول الكبيرة، لتوسيع دائرة هيمنة لغاتها، واستفحالها للقضاء على اللغات المعادية وتضييق اللغات المتنافسة.

كل جهة ترى في التمترس بلغتها الأم دفاعاً عن كيانها في حرب الوجود واللاوجود، وتجعل المحافظة عليها في صدر سلم اولوياتها الاستراتيجية.

قال «هيغل» في بداية القرن التاسع عشر: «ان الفلسفة يجب أن تتكلم باللغة الالمانية». وهنا، في لبنان، يدعو الدكتور «سامي أدهم» الفلسفة المعاصرة الى التكلم بالعربية[٥].

في هذه الفترة، تتكاثف الدراسات اللغوية، بحجة أنها عامل رئيسي في بلورة الافكار والنزعات، لدرجة أن «جان لاكان» يفترض الضمير المختبئ (In) مقولة ألسنيّةً (Linguisitic). ويتساءل البعض عما إذا كان يمكن التفكير بدون لغة، وهل هناك مناطق في عالم الفكر، لاحضور للغة فيها؟

هذا، وذهب البعض الى استنكار الحقيقة بوصفها كياناً متحققاً نقترب منه، بل هي تتولد عبر خطاباتنا وكلماتنا. تصرّ النزعة التأويلية على ان الفكر واللغة كليهما من نوع «النص». فالكلام الكتبي نص والكلام الشفهي نص، والعمل الميداني نص، إذ ان جميعها حصيلة انظمة علاقاتية تعمل على خلق وارسال نداءات محددة.

في هذه الاجواء، العالم الألسني الذي يعالج مسؤولية اللغة في المجتمع البشري، لايمكنه انكار علاقة اللغة بالواقع، بحجة ان التجربة خارجة عن نطاق اللغة، إذ ان في أية لغة آليات تسمح للمتكلم ان يدخل عن طريقها في عالم المحسوسات والمتخيلات[٦].

الامر الذي يطوي هذه الثنائية ويمزج اللغة بالفكر والفكر باللغة، هو أن للغة وراء ألفاظها الاعتبارية المختلفة باختلاف اللغات جوهر مشترك يتصل بذات الفكر، بينهما عملية أخذ وعطاء مستمرة. فالفكر يظهر في قالب اللغة، واللغة تطلق العنان لمزيد من الفكر[٧].

هذه نظرة إجمالية عالجناها عن كسر الجليد بين اللغة والفكر والتلاحم بينهما في نمط التفكير الفلسفي الغربي، وانتماء بعض المثقفين الشرقيين المستلهمين من المدارس الغربية.

ندرس الآن موضوع ثنائية: الفكر / اللغة من منطلق القرآن والنصوص الاسلامية.

ثنائية الفكر / اللغة في فضاء القرآن

بعض التعابير القرآنية التي تركز على علاقة طبيعية تلازمية بين اللغة والفكر، تفوق مجرد كنايات، وتصرّح بطيّ هذه الثنائية، منها:

١ ـ ان القرآن يسمي كل شيء في عالم الكون: «آية». الآيات التكوينية تغطي ارجاء العالم: ﴿وفي الارض آيات للموقنين، وفي السماء، أفلا تبصرون﴾[٨]. الى جانب هذا، تطلق مفردة: «الآية» على كل جملة أو قطعة من السور القرآنية. إن تأليف القرآن من «آيات الله» وتأليف كل مظاهر الوجود أيضاً من «آيات الله» تشعر بأن «القرآن

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:34 IRDT on Monday August 31st 2020

المقروء» او «القرآن المكتوب» هو نسخة طبق الاصل عن نظام الكون الممتد من ذروة العرش الى حضيض الفرش. وفي هذا اشارة لطيفة الى توحيد ثنائية الفكر / اللغة.

٢ ـ يصف القرآن النبي عيسىعليه السلام «بكلمة الله»؛ مما يعني ان العلاقة بين «الحقيقة الوجودية» و «الحقيقة اللغوية» علاقة ذاتية ورصينة.

٣ ـ ورد في القرآن: ﴿ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها﴾[٩]. ان لفظة «الاسماء» مشتركة في قاموس القرآن بين الأكوان اللغوية والحقائق العينية. ومما يقوي هذه الفكرة، أن القرآن يقول: ﴿وعلم آدم الاسماء كلها، ثم عرضهم على الملائكة، فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين﴾[١٠]، حيث يرجع فيها الضمير «هم» (المخصص لذوي العقول) الى «الاسماء» واضافة «اسماء» الى «هؤلاء» تدل على ان موضوع «الاسماء» هو الحقائق العاقلة ولا الألفاظ المجعولة والاعتبارية.

ثانياً: ـ ثنائية العولمة / الاقلمة

اتخذت العولمة (Globalization) اشكالاً مختلفة، ومرت بمراحل متتالية، ليس فقط من حيث كثافة العلاقات ووسائل الاتصالات، لكنها مرت أيضاً من حيث الكيف بمراحل مختلفة.

في المرحلة الممتدة من الثورة الصناعية في أوائل القرن التاسع عشر، مروراً بالحرب العالمية الثانية، وصولاً الى منتصف القرن العشرين. واتخذت العولمة في هذه المراحل شكلاً بسيطاً، وتجلى هذا الشكل في تقسيم العالم الى المناطق المصنعة والمناطق التي لم تدخل بعد في الثورة الصناعية[١١].

كنتيجة للحرب العالمية الثانية، دخلت دول الاطراف في نظام الثورة الصناعية والتحديث للدولة والمجتمع الى حد ما، لكن من دون ديمقراطية في معظم الاحيان. العولمة كما يقول المفكر الفرنسي «أدغار موران» تمثل فرصة فردية للتواصل والفهم المتبادل بين الناس في مختلف ثقافات المعمورة وتشجع على اختلاط الثقافات... ويعثر «موران» على الامل في الانفتاح على مساهمة الحضارات الاسلامية في العلاقة التي أقامتها بين الذات وبين العقل، بين الروح وبين الجسم. وهو ما أهملته الحضارة الصناعية الانتاجية التي حصرت بحثها في الفعالية[١٢].

والعولمة مستوى الاقتصاد والمال الى سائر المجالات الثقافية والسياسية والايديولوجية، ولذلك يعرفها «أسماعيل صبري عبد الله» بأنها: «التداخل الواضح في الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة والسلوك، دون اعتداء بالحدود السياسية او الانتماء الى وطن محدود أو لدولة معينة ودون الحاجة الى اجراءات حكومية»[١٣].

أما موقف المثقفين في الوطن الاسلامي إزاء ظاهرة العولمة، فقد توزع بين مرحب ومتشائم وحائر مذبذب يميل تارة الى هنا وأخرى الى هناك.

أ ـ موقف الترحيب:

فالمرحب بها استقبلها بكليتها، وشرط عدم اللجوء الى تطبيقها في مجال دون مجال آخر، واستنكر مقولة أقلمة الثقافة الى جانب عولمة السياسة والاقتصاد، «إذ ليس صحيحا أن ثقافات الامم تظهر ظهوراً مستقلاً، فالحضارة الإسلامية ما كانت ممكنة التصور لولا الثقافات الفرنسية والبيزنطية واليونانية. ولا شك بان هناك عناصر ذاتية او محلية في كل ثقافة، ولكن الباقي هو المشترك او العالمي. والنظام العالمي ليس في الاقتصاد والتبادل التجاري وحسب، بل وفي الثقافة وتبادل الافكار أيضاً. وليس من الممكن ان تتجدد الثقافة المحيطة بهويتنا الخاصة الا بالانفتاح على العالم وثقافاته. فالهوية المنفتحة هي الباقية والمتجددة. أما الانعزال فاكبر أعداء الهوية»[١٤].

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:34 IRDT on Monday August 31st 2020

ب ـ موقف التشاؤم:

امـا الآراء المـتشائمة عـن العـولمة، فـتذهب الى أن الرياء والكيل بمكيالين هما ثمن ادعاءات العالمية. «وهي عالمية (حسب رأي هنتنغون) تروج للديمقراطية، لكـن ليس اذ أوصلت إسلاميين الى السلطة. وتـطبق عـظات منع انتشار أسلحة الدمار الشامل على إيران والعراق، لا علىٰ اسرائيل، وتعتبر التجارة اكسير النمو الاقتصادي، لكنها تستثني منها الزراعة، وتثير قضية حقوق الإنسان مع الصين، لا مـع أقمار امـريكا، وتـرد العـدوان عـلىٰ الكويتيين مالكي النفط بقوة هائلة، ولا ترد بقوة مماثلة عـلىٰ عـدوان يسـتهدف البـوسنيين الذيـن لا يـملكون نفطاً»[١٥]. حتىٰ المفكر الفرنسي «ادغار موران» المنتمي الىٰ العالمية يعتقد بأن لها جانباً مـريراً خـصوصاً فـي الجانب الثقافي، اذ قد يتم تجاهل بعض الثقافات، وحتىٰ ضربها باتجاه قيام تجانس للهويات.

وهل تتحقق العولمة فـي السـاحة الثـقافية؟ الإجـابة سـلبية عـند «الجـابري». فـي رأيـه، ليست هـناك ثـقافة عالمية واحدة، وليس من المحتمل ان توجد في يوم من الأيام، وإنما وجدت وتوجد ثقافات متعددة ومتنوعة.

النوايا الخبيثة التي تحتشد قوىٰ الغطرسة وسلطات الاستكبار للدفاع عن العـولمة واضـحة فـي اجـراءاتـهم القمعية ونشاطاتهم السياسية والعسكرية التـي تـظهر أحياناً في أنماط من الإبـادة الجـماعية لبـعض الاقـوام المغضوب عليها وتطويقهم للبعض الآخر:

«ظـاهرة العـولمة (أي سـيطرة تـحالف الشـركات متعددة الجـنسيات والقـوة التكنولوجية العـالمية عـلىٰ العالم)باتت واقعاً معيشاً ويومياً. وأن هذه الظاهرة لهـا أدمة أمـريكية واضـحة... وهـذا مـا يـدفع بـالعديد مـن الامـريكيين الىٰ الحـديث الآن عـن «أمـركة العـالم» أو «أمـريكا/ العـالم»... لكـن، لابـد مـن التـذكير بـالنظرية الاخرىٰ التي تقول: أن امـريكا هـي التـي سـتذوب فـي العالم بـفعل العـولمة، ويـقول أصـحاب هـذا الرأي: أن انهيار مفهوم «الدولة ـ الامـة» تـحت ضـربات العـولمة الاقتصادية، سيؤدي الىٰ تجزئة الولايـات المـتحدة الىٰ اكثر من عشرين دولة مستقلة»[١٦].

ان الاتجاه المتشائم ازاء العولمة يـعتبرها «اسـلوب الغرب، وعملية انتشارها في جوهرها عملية «تغريب»... إنـها جـزء عـضوي وأسـاسي مـن طـبيعة الرأسـمالية الدولية... إن ما يتعولم مجتمع عـالمي مـزدوج «شـمال اجتماعي» متجانس في ترفه واسـتكباره يـمتلك العـالم ويحكمه، و«جـنوب اجـتماعي» مـتجانس فـي مكـابدته البـؤس والقـهر، وعـلىٰ هـذا الاسـاس تـجسد العـولمة انـقسام العـالم اكـثر مـن أي وقت مـضىٰ الى عـالمين متضادين متناقضين ومتصارعين، عـالم غـني وعـالم فقير، عالم المراكز المتقدمة والأطراف أو دول المـحيط المتخلفة[١٧].

فـي هـذا الجـو المـفعم بـالتشاؤم، تـقبل العـولمة باعتبارها أرقىٰ انجاز عمراني في تاريخ البشرية، «لكن لو لم يـفقد الامـن والامـان فـي ظـلها لكـانت اسـتقبلت بطريقة اخرىٰ مـن قـبل الشـعوب. ولو لم يكـن النـفاق الرأسمالي ديدنها ومعدنها لمُجدت ثقافتها وحـضارتها وعقيدتها الفكرية. لكـنها خـواء مـن الـناحية الانسـانية، ومجرد صدىٰ تكنولوجي متطور جـداً لأخـلاق وثـقافة انكشارية (بالمقارنة مع ثـقافة القـرن المـنصرم). ومـع ذلك نـقول ان العـولمة عـمياء. وإنـها سـيرة الطـوطم المعدني الذي تعبده، وإنها قد تحفر لصانعيها قـبورهم بأن تفتح من حيث لا تدري، ومن حيث لاتـبغي أبـواباً واسعة أمام اتحاد «الكادحين تحت» من كل الشعوب في مواجـهة «الرازحـين فـوق». نـعم، قـد تـتجلىٰ رسـالتها الكبرىٰ في أن تفعل ذلك في يوم من الأيام»[١٨].

جـ ـ موقف التذبذب:

لكـن رأياً آخـر أقـل تشـاؤماً يـؤكد عـلىٰ ضـرورة الفصل بين «العولمة» و «العالمية»:

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:34 IRDT on Monday August 31st 2020

«العولمة التي يجري الحديث عنها الآن: نظام أو نسق ذو أبعاد تتجاوز دائرة الاقتصاد... وهي ليست مجرد آلية من آليات التطور الرأسمالي، بل هي أيضا بالدرجة الاولىٰ ايديولوجيا تعكس ادارة الهيمنة علىٰ العالم... العولمة (Globalisation) إرادة للهيمنة، وبالتالي قمع وإقصاء للخصوصي. أما العالمية (Uninersalism) فهي طموح الىٰ الارتفاع بالخصوصية الى مستوى عالمي. العولمة احتواء للعالم. والعالمية تفتح علىٰ ما هو عالمي وكوني»[١٩].

فالعالمية تفتح علىٰ العالم، واحتفاظ بالاختلاف الثقافي وبالخلاف الايديولوجي، والعولمة نظام يعمل علىٰ إفراغ الهوية الجماعية من كل محتوىٰ ويدفع التفتيت والتشتيت، ليربط الناس بعالم اللاوطن واللاأمة واللادولة، أو يعزفهم في أتون الحرب الاهلية.

د ـ مدرسة «أمر بين أمرين»:

في ظل النزعات المتناقضة التي تتراوح بين النزوع نحو العولمة وتطبيقها في جميع المجالات الاجتماعية والإقتصادية والثقافية والسياسية، وبين الاصرار علىٰ أقلمة القضايا والتركيز علىٰ القيم المحلية والتعصب للرسوم الإقليمية، نميل الىٰ مقولة: «أمر بين أمرين»[٢٠].

إن هذه المدرسة التي خضت في طياتها طيلة سنوات، ورسمت بعون الله تعالىٰ معالمها وكشفت عن ملابساتها وعالجت إشكالياتها وغوامضها وبلورت صياغتها في كتابي «أمر بين أمرين: ثنائيات الانسان والكون بمنطق التأويل والتفسير»، تنطلق من عنوان مأخوذ من رواية الامام «جعفر الصادق»عليه السلام: «لا جبر ولا تفويض، بل أمر بين أمرين»، فهو عنوان عريض ومفتاح رئيس، يصلح أن يكون أساساً للتعامل مع كثير من الأزمات الثقافية والجدليات الفكرية التي نتعرض لها اليوم.

إن مدرسة «أمر بين أمرين» (المختلفة تماماً عن اتجاه التذبذب والتفتت في استقبال العولمة في بعض مجالاتها ورفض المجالات الاخرىٰ) ترى في العالمية أرضية لازمة لفتح الحوار والتفاعل بين الشعوب، ولتحقيق الدعوة القرآنية الىٰ: «كلمة سواء» وتجد في العولمة أساساً دينياً يقوم علىٰ فكرة إن الناس كلهم أبناء أسرة واحدة خلقت من ذكر وأنثىٰ، وقدر لها ان تكون ذات مصير مشترك، فلابد من عولمة الخطاب الموجه الىٰ الناس.

ولكن، شرط ان تنطوي في الطرف الآخر للمعادلة؛ أي: «الاقليم» بمعنىٰ ان لا تلغي خصوصيات الاقوام والثقافات والحضارات. فالدعوة الإسلامية العالمية التي توجت خطاباتها بـ «يا أيها الناس» ليس فقط تعترف بهذه الخصوصيات، بل تراها باعثة علىٰ الفكر[٢١]، حيث قال تعالىٰ: ﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين﴾[٢٢]. وقال: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثىٰ وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾[٢٣].

ثالثاً: اللغة بين العولمة والأقلمة

انتهينا في المحور الاول الىٰ طيّ ثنائية الفكر / اللغة، واعتبارها صفحتين لورقة واحدة لا يمكن قص أحداهما إلا بقص الطرف الثاني. وكما أن اللغة آية للفكر، فالفكر أيضا ناتج عن اللغة والكلام، ولا يمكن أن يتحقق التفكير دون لغة.

إن أهمية اللغة وكونها إطاراً لبلورة الأفكار والثقافات نقلت في العهد الراهن ازدواجية العولمة والخصخصة الىٰ دائرة اللغة، مما يتطلب دراسات معمقة حول ظاهرة العولمة اللغوية.

الظاهرة التي نشهدها اليوم، هي أن الغطرسة العالمية المتمثلة بالإدارة الأمريكية تحاول جعل اللغة الإنكليزية عبر الإنترنت والمعلوماتية والاتصالات

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:34 IRDT on Monday August 31st 2020

العالمية رمزاً للعبور الى عالم العلم والتكنولوجيا.

يتريث أصحاب الثقافات الاخرى عند ظاهرة «العولمة اللغوية»، يتحيرون كيف يمكنهم الخروج من هذا المأزق المتأزم بين الأخذ بنظام لغوي موحد، يضعهم في أجواء آخر المستجدات العلمية، ويمنحهم تأشيرة الدخول في مسارات اللعبة الدولية، أو يقفون بكل صلابة وأنفة وشموخ، أمام هذا السيل الجارف الذي يبلع بكل جشع وبسرعة تفوق حد التصور كل معالم تراثهم وركائز كيانهم ووجودهم. في هذه الحرب المدمرة، يزداد كل يوم عدد اللغات التي انقرضت وتنقرض لتلحق بأرشيف الدفائن الأثرية.

أعتقد أن الخروج من هذا المأزق يتطلب حكمة متينة ورصينة لمعالجة طرفي ثنائية العولمة اللغوية والتعددية اللغوية، ولابد هنا من معالجة قضايا ذات أهمية جسيمة.

محاور لحل جدلية العولمة اللغوية والتعددية اللغوية

أولاً: لايجدي التركن الى دعاة العولمة اللغوية، والمطالبة بعدولهم عن إبادة اللغات الضعيفة. لأن المبدأ الذي ينطلقون منه ويعتبرونه أساساً منطقياً ومنهجاً سليماً هو مبدأ التنازع من أجل البقاء واختيار الأصلح والأقوى كسنة طبيعية.

ثانياً: يجب ممارسة أساليب حكيمة لتوجيه سؤال هام الى دعاة العولمة، وخاصة في أجواء نظرية حوار الحضارات؛ نحن نتساءل: كيف يبرر تخصيص نفقات باهضة وأبحاث جامعية وأكاديمية ضخمة للاحتفاظ بأصناف الحيوانات والنباتات المهددة بالزوال، وتأسيس بنوك اختصاصية لجمع بذور هذه النباتات، ومحاولة احياء الأنواع البائدة بتفعيل مادة DNA المتبقية من أشلائها، وفي نفس الوقت، عدم الاهتمام بمشكلة تضاؤل وتلاشي كثير من اللغات في المجتمع البشري، أو التخطيط الخفي لازالتها التدريجية، مع العلم بأن اللغة ـ أية كانت ـ هي مرآة صافية تعكس واقع مجتمع إنساني لاتقل أهمية عن الأفاعي والحشرات والحيوانات ذات الخلية الواحدة!

ثالثاً: المنطق العلمي الذي يخضع أمام آخر المستجدات العلمية الحديثة في «الألسنيّة»، ويقبل تشابك اللغة بالفكر وعدم إمكانية الفصل بينهما، هو الذي يفرض علينا ضرورة قبول التنوع في مسار اللغة، إذ لا شك أن الفكر متنوع. والغرب المتحضر الذي يرفض الاستبداد في الفكر، ويصرّ على الاختلاف والتنوع والحرية الفكرية، يجب أن لا يتناسى أحد اللوازم الأساسية للتنوع الفكري، ألا وهو التنوع اللغوي، لأنه بات بديهياً أن اللغات المتنوعة تختزل في طياتها مضامين متنوعة، وتراثاً متنوعاً لا قيمة للبشر إلا بالحفاظ عليه والاستلهام منه.

أخيراً: أعتقد أن ثقافتنا الإسلامية تلهمنا ضرورة الجمع بين العولمة والأقلمة في جميع المجالات، ومنها: المجال اللغوي. فمن جانب، نستوحي من القرآن ودعوته الى «كلمة سواء». وأفهم منها ضرورة تواجد لغة مشتركة لتطبيق هذا الحوار والدعوة العالمية. ومن جانب آخر، أرتئي أن الآية الشريفة: ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم لآيات للعالمين﴾، ترسخ أهمية التعددية التكوينية والاختلاف الماهوي بين مظاهر الوجود، وتذكر «العلماء» بها. وتثبت مقولتنا العرفانية القائمة على وحدة الحق تعالى مع كثرة مخلوقاته وتنوع مظاهره واختلاف تجلياته.

هكذا نطوي ثنائية: العولمة / الاقلمة، ونولجها في ثنائية: الوحدة / الكثرة، التي تنطوي في الباري تعالى ومظاهره التي لا تعد ولا تحصى.

الهوامش

١ ـ لمزيد من الإيضاح راجع: مقالة نقلتها من الفارسية الى العربية بعنوان: «القرآن والنظريات السيميائية، نشرت في مجلة: الثقافة الاسلامية، العدد٨٦، دمشق، تشرين ٢/ ٢٠٠٠.

٢ ـ علي حرب، نقد الحقيقة، صص ١٠٥ ـ ١١٦.

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:34 IRDT on Monday August 31st 2020

٣ـ جميل قاسم، نقد كتاب نظرية العقل لجورج طرابيشي، السفير، ١٩٩٧/٦/٢٧.

٤ـ راجع: د. عصام نور الدين، تدريس اللغة العربية في المغتربات اولوية قومية، السفير ٣ / ٦ / ١٩٩٨.

٥ـ د. سامي أدهم، فلسفة اللغة، ٩.

٦ـ راجع: د. عادل فاخوري، اللسانية التوليدية والتحويلية، ٨٣.

٧ـ راجع: مقالتي، بعنوان: مقاربة ألسنية بين تشومسكي وسيبويه، مجلة لغة وعلوم القرآن، العدد٣، جامعة شمران، الأهواز، ايران؛ وأيضاً مقالا ترجمته الى العربية بعنوان: القرآن والنظريات السيميائية (المذكورة سابقاً).

٨ـ الذاريات: ٢٠ ـ ٢١.

٩ـ الاعراف، ١٨٠.

١٠ـ البقرة، ٣١.

١١ـ راجع: سمير أمين، ملحق الكفاح العربي، ١٩٩٩/١/٤.

١٢ـ عفيف عثمان، الفكر الغربي أمام العولمة، السفير ١٩٩٨/١/٢٨.

١٣ـ د. محمد عبيد الله العولمة الثقافية، مجلة راية مؤتة، العدد ٢، تشرين أول ٢٠٠٠.

١٤ـ رضوان السيد، العولمة الملعونة باسم الهوية الوطنية والدينية، السفير، ١٩٩٧/٢/٢٥.

١٥ـ فواز طرابلسي، نقد مقالة: الغرب فريداً، لا كونياً، لصاموئيل هنتنغتون، السفير، ١٩٩٧/١/٣١.

١٦ـ جاكي درفشيان، من سيذوب في الاخر؟... السفير، ١٩٩٨/١/٢٨.

١٧ـ د. محمد خالد الشياب، العولمة والثقافة الوطنية، مجلة راية مؤتة، العدد ٢، تشرين أول ٢٠٠٠.

١٨ـ د. فؤاد مرعي ـ في ما يتعدى النقد والتفكيك ـ السفير ـ ٩٨/٥/٢٦.

١٩ـ محمد عابد الجابري (الباحث المغربي) ـ ندوة: العرب والعولمة ا في بيروت) ـ السفير ـ ٩٧/١٢/٢٤.

٢٠ـ راجع: كتابنا: «أمر بين أمرين».

٢١ـ في هذا الاتجاه، يحذّر «ماهاتير محمد» «رئيس الوزراء الماليزي من: «عدم الاستسلام امام العولمة المطلقة العنان، التي ينوون فرضها على كل أرجاء المعمورة، وتعديلها بالاصرار على عولمة الاخلاق والقيم والعلم، الى جانب العولمة الاقتصادية والسياسية، لكي لايفضل الحجر على البشر»، ماهاتير محمد، في مؤتمر دولي أقيم في كوالالامبور، نقلا عن جريدة «اطلاعات» الايرانية، ٢٠٠٢/٣/١.

٢٢ـ الروم: ٢٢.

٢٣ـ الحجرات: ١٣.

المراجع والمصادر

١ ـ أدهم، د.سامي، فلسفة اللغة، الموسوعة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٣.

٢ ـ أمين د. سمير، ملحق الكفاح العربي، ٤ / ١ / ١٩٩٩.

٣ ـ حرب، د. علي، نقد الحقيقة، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، ١٩٩٥.

٤ ـ خاقاني (المؤلف)، د. محمد، أمر بين أمرين، دار الهادي، لبنان، ١٩٩٩.

٥ ـ خاقاني (المؤلف)، د. محمد، مقاربة ألسنية بين تشومسكي وسيبويه، مجلة لغة وعلوم القرآن، العدد ٣، جامعة شمران، الأهواز، ايران؛ ٢٠٠١.

٦ ـ درفشيان، جاكي، من سيذوب في الاخر؟... السفير، ٢٨ / ١ / ١٩٩٨.

٧ ـ السيد، د. رضوان، العولمة الملعونة باسم الهوية الوطنية والدينية، السفير، ٢٥ / ٢ / ١٩٩٧.

٨ ـ الشياب، د. محمد خالد، العولمة والثقافة الوطنية، مجلة راية مؤتة، العدد٢، تشرين أول ٢٠٠٠.

٩ ـ طرابلسي، د. فواز، نقد مقالة: الغرب فريداً، لا كونياً، لصاموئيل هنتنغتون، السفير، ٣١ / ١ / ١٩٩٧.

١٠ ـ عبيد الله، د. محمد، العولمة والهوية الثقافية، مجلة راية مؤتة، العدد٢، تشرين أول ٢٠٠٠.

١١ ـ عثمان، د. عفيف، الفكر الغربي امام العولمة، السفير، ٢٨ / ١ / ١٩٩٨.

١٢ ـ فاخوري، د. عادل، اللسانية التوليدية والتحويلية، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٨.

١٣ ـ قاسم، د. جميل، نقد كتاب نظرية العقل لجورج طرابيشي، السفير، ٢٧ / ٦ / ١٩٩٧.

١٤ ـ قيطوري، د. عامر، القرآن والنظريات السيميائية، نقله الى العربية: د. محمد خاقاني (المؤلف)، مجلة: الثقافة الإسلامية، العدد ٨٦، دمشق، تشرين ٢ / ٢٠٠٠.

١٥ ـ محمد، ماهاتير «رئيس الوزراء الماليزي، العولمة مع الأولوية الإنسانية، نقلا عن جريدة «اطلاعات» الإيرانية، ١ / ٣ / ٢٠٠٢.

١٥ ـ نور الدين، د. عصام، تدريس اللغة العربية في المغتربات أولوية قومية، السفير، ٣ / ٦ / ١٩٩٨.

* * *